الافتتـــاحـــيـــــــة

بقلم رئيس التحرير
أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

الجبل الحبر واختراع الورق والكتاب البوص والكتابة العمودية الرأسية ...

طرائف صينية

الحضارة الصينية حضارة عريقة تضرب مثل الحضارة المصرية القديمة والحضارة العراقية في أعماق التاريخ وان جاءت بعدهما بفترة طويلة حيث ظهرت في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد ولكنها قدمت للكتب والمكتبات إنجازات جيدة منها جبل الحبر واختراع الورق وكتب البوص أو الغاب والكتابة العمودية.

لقد حبا الله الصين بجبل من الحبر وما عليك إلا ان تأخذ قطعة من هذا الجبل وتذيبها في الماء لكي تصير حبراً جيداً دون تركيب ودون خلطة، وفي طفولتنا تعودنا الكتابة بما يعرف بالحبر (الشينى) نسبة إلى الصين وقد انتشر هذا الحبر في انحاء متفرقة من العالم وأصبح من صادرات الصين الكبيرة.

إن الزائر إلى الصين يجد الصينين وهم يحملون قوالب من هذا الجبل يعرضونها للبيع ولكن الزمن قد غير الأحوال ولم تعد للحبر الشينى ما كانت له من قيمة حتى نهاية القرن العشرين.

إن الورق الذي بين أيدينا الآن اختراع صيني مائة بالمائة يُعزى إلى قسي صيني كان يعمل في البلاط الإمبراطوري وكان ألمعياً ذكياً لماحاً وقد لاحظ أن الصيادين عندما تتهرأ شباك الصيد ويلقون بها إلى البحر او شواطئ الأنهار تكون طبقة رقيقة اشبه بالورق فأجري تجاربه في المعمل على بعض الألياف السلولوزية والقطنية وقد نجح اختراعه وصنع أول كمية من الورق وكتب عنها تقريره إلى الإمبراطور سنة ١٠٥ م وقد اعتبر هذا التاريخ بداية لاختراع الورق .

وقد بقي الورق حبيساً في الصين سبعة قرون ، ومن نوادر التاريخ أن الصين عندما تريد ضرب اليابان لابد و أن تستولى على كوريا و أن اليابان اذا ارادت ان تضرب الصين لابد لها ان تستولى على كوريا ، ولقد تسربت صناعة الورق من الصين إلى كوريا و منها إلى اليابان ، وبدأت في الانتشار غرباً ويتصادف أن وصلت الفتوحات العربية إلى بخاري وسمرقند و تصدي الصينيون للعرب ولكن هزم الصينيون وعلموا العرب صناعة الورق التي امتدت إلى بلاد العراق ثم الشام فمصر فشمال افريقيا ، ومن تونس والمغرب دخلت صناعة الورق إلى أوروبا .

في القرن الحادي عشر الميلادي كان هناك صراع مرير بين البردي والرق والورق وقد خرج من هذا الصراع البردي لأسباب عديدة وبقي الصراع قائماً بين الرق والورق الذي تربع مع القرن التاسع عشر على العرش وينعم العالم بهذا الاختراع الصيني حتى اليوم وهو الاختراع الذي لا يقل أهمية عن أي اختراع اخر .

قبل اختراع الورق استخدم الصينيون مواد بيئية للكتابة عليها ولما كان البوص والغاب منتشراً في بلاد الصين فقد استخدموا البوص مادة للكتابة بحيث تشق البوصة طولاً ويكتب على كل شق الكلمات في تتابع رأسي ومن هنا جاءت الكتابة الصينية عمودية حتى بعد اختراع الورق ويحاول الصينيون الآن التحرر من هذه الكتابة العمودية ومن الطريف أن الكتاب الواحد قد يستغرق مئات من اعواد الغاب هذه وللحفاظ على وحدة الكتاب كان يدكك على شكل حصيرة وذلك فإن هذه الحُصر كان ترمي إلى جانب بعضها البعض ملفوفة داخل حجرات المكتبات وعلى كل حصيرة البيانات الببليوجرافية الخاصة بها .

لقد فرضت اعواد الغاب الضيقة على الصينين ان يكتبوا كلمة واحدة في السطر الواحد و لذلك جاءت كتاباتهم عمودية رأسية حتى بعد اختراع الورق العريض وحيث كان التخلص من هذه الطريقة في الكتابة صعباً مستحيلاً بحكم التقاليد .

في الوقت الحاضر يحاول الصينيون المزج بين الطريقتين ومن المعروف ان الكتابة الصينية ماتزال كتابة تصويرية تعتمد اساساً على تصوير الكلمات ولم تتجاوز ذلك الى الكتابة الابجدية وحيث لم تصل الكتابة السينائية الابجدية الى تلك المناطق . فالكتابة الصينية في مجملها تربو على ثلاثين الف شكل هذا الرقم لا يسيطر عليه الا العلماء والباحثون اما العامة فانهم قد يسيطرون على خمسة الاف الى سبعة الاف شكل ، ويقوم مجمع اللغة الصينية بنحت المصطلحات الجديدة وتعبيرات مستحدثات الحضارة الجديدة .

لقد قصدنا من هذه المداعبة العلمية المقارنة بين ما كان عليه الحال منذ آلاف السنين والحاسب الآلي الذي ننعم في ظله الآن .

رئيس التحرير

أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

الرئيس الفخري للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (أفلي)